

قصـــــر الأمـــــل

«كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»

حديث صحيح

قصـــر الأمـــل

● عن أنس قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«يَهرَمُ ابن آدم ويبقى منه اثنتان: الحرصُ والأمل»[1].

● عن سلمان الفارسي قال:

ثلاثٌ أعجبتني، ثم أضحكتني!

- مؤمِّلُ الدنيا والموتُ يطلبه.

- وغافلٌ وليس بمغفولٍ عنه.

- وضاحكٌ ملءَ فيه ولا يدري أساخطٌ ربُّ العالمين عليه أم راضٍ عنه.

وثلاثةٌ أحزنتني حتى أبكتني:

- فراقُ محمد ﷺ وحزبه والأحبة.

- وهولُ المطلع.

- والوقوفُ بين يدي ربي، لا أدري إلى الجنة يُؤْمَرُ بي أو إلى النار!

● عن صالح البراد قال:

رأيتُ زُرارةَ بن أوفى بعد موته في منامي، فقلت: أي الأعمال أبلغ فيما عندكم؟

قال: التوكل، وقِصَرَ الأمل[2].

---

(١) رواه البيهقي في «الزهد الكبير» ص(١٨٩) رقم (٤٥٤) عن أنس بلفظ ابن أبي الدنيا، وقال الحافظ العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في «قصر الأمل» بإسناد صحيح، «إتحاف السادة المتقين» (١٠/ ٢٣٩).

(٢) «قصر الأمل» ص(٤١).

● عن محمد بن معمر قال:

سأل المُفَضَّل بن فَضَالة ربَّه أن يرفع عنه الأمل، فذهب عنه الطعام والشراب.

ثم دعا ربَّه، فردَّ عليه الأمل، فرجع إلى الطعام والشراب![1].

● عن داود الطائي قال:

سألت عطوان بن عمرو التميمي قلت: ما قِصَرُ الأمل؟

قال: ما بين تردُّدِ النَّفَس[2].

● عن الحسن:

أن ثلاثة علماء اجتمعوا، فقالوا لأحدهم: ما أَمَلُكَ؟

قال: ما أتى عليَّ شهرٌ إلا ظننتُ أني أموت فيه.

قال صاحباه: إن هذا لأمل!

فقالوا للآخر: ما أملك؟

قال: ما أتت عليَّ جمعةٌ إلا ظننتُ أني سأموت فيها!

قال صاحباه: إنّ هذا لأمل!

فقالوا للآخر: ما أملك؟

قال: ما أَمَلُ مَنْ نفسُه في يدِ غيره؟![3].

● قال مالك بن مغول: يقال:

من قَصَرَ أمَلُه هان عليه عشيه.

---

(١) «قصر الأمل» ص(٤٢، ٤٣).

(٢) المصدر السابق.

(٣) «قصر الأمل» ص(٤٤).

قال سفيان: يعني في المطاعم والملابس.

● عن هشام بن يحيى الغساني، عن أبيه أنه قال:

ما نمتُ يومًا قطُّ فحدثتُ نفسي أني أستيقظُ منه!

● عن الحسن قال:

قيل: يا أبا سعيد، ألا تغسل قميصك؟

قال: الأمر أعجل من ذلك![1].

● إن بكر بن عبد اللَّه المزني لقي أبا جميلة فقال:

يا أبا جميلة، كيف أنت؟

قال: أنا واللَّه هكذا: كرجلٍ مادٍّ عنقه والسيف عليها، ينتظر متى تُضرب عنقه![2].

● عن سُويد بن عمرو. قال: سمعت داود الطائي يقول:

لو أَمَلْتُ أن أعيشَ شهرًا، لرأيتني قد أتيت عظيمًا! وكيف أؤمل ذلك وأرى الفجائع تغشى الخلق في ساعات الليل والنهار[3].

● عن الحسن قال:

كان أحدهم يتخذ القصبة، ويجعل فيها خيطًا يعلقها في إصبعه فيها ماء، يريد إذا بال أن يتوضأ، مخافة أن يأتيه أمر اللَّه![4].

● قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

إن أخوف ما أخاف عليكم اثنتين: اتباع الهوى، وطول الأمل.

---

(١) «قصر الأمل» ص(٤٥).

(٢) «إتحاف السادة المتقين» (١٠/ ٢٤١)، و«قصر الأمل» ص(٤٧).

(٣) المصدر السابق.

(٤) «الزهد» لابن المبارك ص(٩٩) رقم (٢٩٣) بألفاظ متقاربة.

فأما اتباع الهوى: فيصدُّ عن الحق.

وأما طول الأمل: فيُنسي الآخرة.

ألا وإن الآخرة قد ارتحلت مقبلة.

ألا وإن الدنيا قد ارتحلت مدبرة.

ولكل واحد منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولاحساب، وغدًا حساب ولا عمل[١] .

● عن عمر بن عبد العزيز أنه قال في بعض خطبه:

إن لكل سفرٍ زادًا لا محالة، فتزوَّدوا لسفركم من الدنيا إلى الآخرة بالتقوى[٢] .

● كتب محمد بن يوسف الأصبهاني العابد إلى بعض إخوانه:

أَقْرِئ من أقرأتنا منه السلامَ السلامَ، وتزوَّد لأُخراك، وتجافَ عن دنياك، واستعد للموت، وبادر الفوت، واعلم أن أمامك أهوالاً وأفزاعًا قد أرعَبَت الأنبياء والرسل، والسلام[٣] .

● عن رجل من قريش قال: كتب رجل إلى أخ له:

أما بعد، فإن الدنيا حُلم والآخرة يقظة! والمتوسط بينهما الموت، ونحن في أضغاث، والسلام[٤] .

* * *

(١) رواه البخاري في «صحيحه» كتاب الرقائق باب في الأمل وطوله (٧/ ١٧٠).
(٢) «حلية الأولياء»، و«قصر الأمل» ص(٥٠).
(٣) «حلية الأولياء» (٨/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦).
(٤) «إحياء علوم الدين» (٤/ ٦٦٢).

● أنشد أبو بكر بن علي قوله:

قل للمؤمِّل إن الموتَ في أَثَرِكْ ... وليس يخفى عليك الأمرُ مِنْ نَظَرِك
فيمن مضى لك إن فكَّرتَ مفتكرْ ... ومَنْ يمت كلَّ يوم فهو من نُذُرِك
دارٌ تسافر فيها من غد سفراً ... فلا تؤوب إذا سافرتَ من سفرك
تضحى غداً سمراً للذاكرين كما ... صار الذين مضوا بالأمس من سمرك

● وأنشد قوله:

نُوديْ بصوتٍ أيَّما صوتِ ... ما أقربَ الحي من الموت
كأنَّ أهل الغيِّ في غيِّهم ... قد أخذوا أمنًا من الموت
كم مصبح يَعْمُر بيتًا له ... لم يُمْسِ إلا خارب البيت!
هذا وكم حيٌّ بكى مَيْتًا ... فأصبح الحيُّ مع الميتِ[1]

● قال عون بن عبد اللَّه بن عتبة:

ما أنزلَ الموتف كُنهَ منزلته مَنْ عدَّ غدًا من أَجَله!

كم من مستقبِلٍ يومًا لا يستكمله!

وكم من مؤمِّل لغدٍ لا يدركه!

إنكم لو رأيتم الأجلَ ومسيرَه، لأبغضتم الأمل وغروره![2].

● عن عبيد اللَّه بن شُميط بن عجلان قال: سمعت أبي يقول:

إن المؤمن يقول لنفسه: إنما هي أيام ثلاثة:

فقد مضى أمس بما فيه.

وغدًا أملٌ لعلك لا تدركه، إنك إن كنتَ من أهل غدٍ فإن غدًا يجيء

(١) «قصر الأمل» ص(٥٣).

(٢) «صفة الصفوة» لابن الجوزي (٣/ ١٠٣)، و«قصر الأمل» ص(٥٦).

برزق غد، إن دون غدٍ يومًا وليلةً تُخترم فيه أنفسٌ كثيرة، لعلك المُخْتَرم فيها. كفى كل يوم همُّه.

ثم قد حملتَ على قلبك الضعيف همَّ السنين والأزمنة، وهمَّ الغلاء والرَّخص، وهمَّ الشتاء قبل أن يجيء الشتاء، وهمَّ السيف قبل أن يجيء الصيف، فماذا أبقيتَ من قلبك الضعيف لآخرته؟!

كل يوم ينقص من أَجَلك وأنتَ لا تحزن، وكل يوم تستوفي رزقك وأنت لا تحزن!

أُعطيتَ ما يكفيك، فأنت تطلب ما يُطغيك!

لا بقليل تقنع، ولا من كثير تشبع!

وكيف لا يستبين بعالم جهلُه وقد عجز عن شكر ما هو فيه، وهو مغترٌّ في طلب الزيادة؟

أم كيف يعمل للآخرة من لا ينقطعُ من الدنيا شهوته، ولا تنقضي منها نُهمته؟! فالعجب كل العجب لمن يصدِّق بدار الحيوان وهو يسعى لدار الغرور![1].

● ويقول شميط بن عجلان:

طالت آمالكم، فجدَّدتم منازلكم من الدنيا، وطَيَّبْتم منها معايشكم، وتلذَّذتم فيها بطيبِ الطعام، ولين اللباس، كأنكم للدنيا خُلقتم! أَوَلا تعلمون أن الموت أمامكم؟ أَوَلا تعلمون أن مَلَك الموت موكَّل بآجالكم، لا يذهب عنه من المدة شيء؟

ثم يقول: لا تكونوا ـ رحمكم الله ـ أقلَّ شيء بالموت اكتراثًا، وأعظمَ

(١) «قصر الأمل» ص(٥٧).

شيء عن الموت غفلة، فما ينتظر الحيُّ إلا الموت! وما ينتظر المسافرُ إلا الظَّعن[١] .

● كان صفوان بن سُلَيم لا يكاد يخرج من مسجد النبي ﷺ . فإذا أراد أن يخرج بكى، وقال: أخاف أن لا أعود إليه![٢] .

● عن إسماعيل بن زكريا ـ وكان جار الحبيب أبي محمد ـ رحمه اللَّه ـ قال:

كنتُ إذا أمسيتُ سمعتُ بكاءه، وإذا أصبحت سمعتُ بكاءه. فأتيتُ أهله فقلت: ما شأنه يبكي إذا أمسى، ويبكي إذا أصبح؟!

قال: فقالت لي: يخاف ـ واللَّه ـ إذا أمسى أن لا يُصبح، وإذا أصبح أن لا يُمسي![٣] .

● كان حبيب يقول لزوجته:

إن متُّ في اليوم فأرسلي إلى فلان يغسلني، وافعلي كذا، واصنعي كذا.

فقيل لامرأته: أرأى رؤيا؟

قالت: هذا يقوله في كل يوم![٤] .

● عن إبراهيم بن نَشيط قال: قال لي أبو زُرعة الشامي:

لأقولنَّ لك قولاً ما قلتُه لأحدٍ سواك!

---

(١) «قصر الأمل» ص(٥٨).

(٢) «صفة الصفوة» (٢/ ١٥٣).

(٣) «صفة الصفوة» (٣/ ٣٢٠)، و«جامع العلوم والحكم» (٢/ ٢٦٣).

(٤) «صفة الصفوة» (٣/ ٣٢٠).

ما خرجتُ من المسجد منذ عشرين سنة فحدثتُ نفسي أن أرجع إليه[١] .

● يقول زياد النميري:

لو كان لي من الموت أجلٌ أعرفُ مدَّتهُ، لكنتُ حريًّا بطول الحزن والكمد حتى يأتيني وقته، فكيف وأنا لا أعلم متى يأتيني الموت صباحًا أو مساء؟!!

ثم خنقته العَبْرة، فقام[٢] .

● كتب أبو عتبة عبَّاد الخواص إلى سليمان بن حيَّان أبي خالد الأحمر:

أما بعد، فإني أوصيك بتقوى اللَّه، وحسن النظر مما هو منظورٌ فيه من أمرك.

وأعرض نفسك قبل عرض اللَّه إياك.

وبادر الأجَلَ بصالح العمل قبل فوت ذلك والأسف عليه.

فالعجبُ لموقع هذا الخطر من القلوب مع المعرفة بفنائه والعلم بما مضى منه ومن أهله!

هل فيهم مغبوطٌ بشيء كان فيه؟ أم هل منهم ظاعن بشيء معه؟ أم هل منهم مردود إلى معتمد، فأتى كتابك، فسررت بعافية اللَّه؟! إياكم... غلبة الهوى على المعرفة، قد كان السرور بالموت أحق، ولكنَّا نسأل اللَّه لنا ولك بركة عطائه، واللطف بالسلامة فيما أخَّرَنا له، فقد... الموتَ الصالحون قبلنا عند وقوع أوائل... في جمهورها. إنما وصف... منها... لا نعرفه من أنفسنا، ولا نناله إلا باللَّه تعالى. نحن معافون، وما يأتينا من نعم اللَّه عظيم[٣] .

---

(١) «قصر الأمل» ص(٦٠).

(٢) «حلية الأولياء» (٦/ ٢٦٧)، «قصر الأمل» ص(٦١).

(٣) «قصر الأمل» ص(٦٥).

● يقول شميط بن عجلان:

أيها المغترُّ بطول صحته، أما رأيت ميتًا قطُّ من غير سقم؟

أيها المغترُّ بطول المهلة، أما رأيت مأخوذًا قطُّ من غير عُدَّة؟

إنك لو فكرت في طول عمرك لنسيت ما قد تقدَّمَ من لذاتك.

أبالصحةِ تغترُّون؟ أم بطول العافية تمرحون؟ أم للموت تأمنون؟ أم على ملك الموت تجترؤون؟!

إن ملك الموت إذا جاء لم يمنعه منك ثروةُ مالك، ولا كثرة احتشادك.

أما علمتَ أن ساعة الموت ذاتُ كربٍ وغُصص وندامة على التفريط؟

ثم يقول:

رحم اللَّه عبدًا عمل لساعة الموت.

رحم اللَّه عبدًا عمل لما بعد الموت.

رحم اللَّه عبدًا نظر لنفسه قبل نزول الموت[1].

● من محمد بن يوسف إلى عبد الرحمن بن يوسف:

سلام عليك.

فإني أحمد إليك اللَّه الذي لا إله إلا هو، أما بعد:

فإني محذِّرك مُتَحوَّلك من دار مُهْلتك إلى دار إقامتك وجزاءِ أعمالك، فتصير في قرار باطن الأرضِ بعد ظاهرها، فيأتيك منكر ونكير، فيُقعدانك وينتهرانك، فإن يكن اللَّه معك فلا بأس، ولا وحشة ولا فاقة، وإن يكن غير ذلك فأعاذني اللَّه وإياك من سوءِ مصرعٍ وضيقِ مضجعٍ. ثم تتبعك صيحةُ

---

(١) «صفة الصفوة» (٣/ ٣٤٧)، «قصر الأمل» ص(٦٢).

الحشر ونـفخ الصُّور وقيـام الجبار لفـصل قضاء الخلائـق، وخلاء الأرض من أهلها، والسماوات من سكانهـا. فباحت الأسرار، وأُسعرت النار، ووُضعت الموازين، وجيءَ بالنـبيين والشهداء: ﴿**وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ فكم من مفتضح ومستور! وكم من هالك وناجٍ؟! وكم من معذبٍ ومرحوم؟!

فيا ليت شعري ما حالي وحالك يومئذ؟

ففي هذا ما هَدَم اللذت، وسلا عن الشـهوات، وقصَّر الأمل، فاستيقظ النائمون، وحذر الغافلون.

أعاننا اللَّه وإياك على هذا الخطر العـظيم، وأوقع الدنيا والآخر من قلبي وقلبك موقعهما من قلوب المتقين. فإنما نحن به وله(١).

● روى البخاري بسنده: «خط الـنبي ﷺ خطوطًا فقال: «**هذا الأمـل وهذا أجله فبينما هو كذلك، إذا جاءه الموت**»(٢).

● عن القعقاع بن عجلان قال: خطب عمـر بن عبد العزيز، فحمد اللَّه تعالى وأثنى عليه، وقال:

أيها الناس، إنكـم لم تُخْلَقوا عبثًا، ولن تُتركـوا سُدى. وإن لكم معادًا يجمعكم اللَّه للـحكم فيكم والفصلِ فيما بينكم، فـخاب وشقيَ عبدٌ أخرجه اللَّـه من رحمتـه التي وسعـت كلَّ شيء، وجنتـهِ التي عـرضُها السـماواتُ والأرض.

وإنما يكون الأمـان غدًا لمن خاف اللَّه واتقى، وبـاع قليلاً بكثيـر، وفانيًا

---

(١) «حلية الأولياء» (٨/ ٢٣٦)، و«إحياء علوم الدين» (٤/ ٦٦٢).

(٢) «البخاري» كتاب الرقائق ـ باب في الأمل وطوله (٧/ ١٧١).

بباق، وشِقْوةً بسعادة.

ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين، وسيخلفه بعدكم الباقون؟

ألا ترون أنكم في كلِّ يوم تشيِّعون غاديًا أو رائحًا إلى اللَّه، قد قضى نحبه، وانقطع أملُه، فيضعونه في بطنِ صدعٍ من الأرض، غير موسد ولا ممهد؟ قد خلع الأسلاب، وفارق الأحباب، وواجه الحساب؟

وايمُ اللَّه إني لأقول لكم مقالتي هذه، وما أعلمُ عند أحدٍ منكم من الذنوب أكثرَ مما أعلم من نفسي، ولكنها سننٌ من اللَّه عادلةٌ، أَمَرَ فيها بطاعته، ونهى فيها عن معصيته. وأستغفر اللَّه.

ووضع كُمَّهُ على وجهه، فبكى حتى لثقت لحيته، فما عاد إلى مجلسه حتى مات ـ رحمه اللَّه ـ[1].

● قال مسكين بن دينار:

كان في تَيمِ اللَّه شيخ متعبد، يجتمع إليه فتيانُ الحي ونُسَّاكُهم، قال: فيذكرهم، فإذا أرادوا أن يتفرقوا قال: يا إخوتاه، قوموا قيام قوم قد يئسوا من المعاودة لمجلسهم، خوفًا من خَطَفَات الموكَّل بالنفوس!

قال: فيَبكي ـ واللَّه ـ ويُبكي[2].

● كان الربيع بن عبد الرحمن يقول في كلامه:

قَطَعَتنا غفلةُ الآمال عن مبادرة الآجال، فنحن في الدنيا حيارى، لا ننتبه من رقدة إلا أعقبتنا في أَثَرها غفلةٌ!

فيا إخوتاه، نشدتكم باللَّه، هل تعلمون مؤمنًا باللَّه أغرَّ، ولِنِقَمِه أقلَّ

---

(١) «حلية الأولياء» (٥/ ٢٩٥)، و«إحياء علوم الدين» (٤/ ٦٦٣).

(٢) «قصر الأمل» ص(٦٨).

حذراً، من قومٍ هجمت بهم العبَر علـى مصارع النادمين، فطاشت عقولهم، وضلت حلومهم عند ما رأوا من العِبَر والأمثال، ثم رجعوا عن ذلك إلى غير قلعة ولا نقلة؟!

فباللَّه يا إخوتاه، هل رأيتم عاقلاً رضيَ من حاله لنفسه بمثل هذه حالاً؟

واللَّه عبادَ الـلَّه لتبلُغُنَّ من طاعـة اللَّه رضاه، أو لتُنكرنَّ مـا تعرفون من حسن بلائه، وتواتر نعمائه.

إن تُحـسن أيها المـرء يُحسَن إلـيك. وإن تُسيء فـعلى نفـسك بالعـتبِ فارجع، فقد بين وأعذر وأنذر، فما للناس على اللَّه حُجَّةٌ بعد الرسل، وكان اللَّه عزيزًا حكيمًا[1] .

● قال عبد الرحمن بن يزيد ـ وكان له حظ من دين وعقل ـ فقال لبعض أصحابه: أبا فلان، أخبرني عن حالك التي أنت عليها، أترضاها للموت؟

قال: لا.

قال: فهل أزمعت التحويلَ إلى حالٍ ترضاها للموت؟

قال: لا، واللَّه ما تاقت نفسي إلى ذلك بعد!

قال: فهل بعد الموت دارٌ فيها مُعتمل؟

قال: لا.

قال: فهل تأمن أن يأتيك الموت وأنت على حالك هذه؟

قال: لا.

قال: ما رأيت مثـل هذه حالاً رضي بها، وأقام عليهـا ـ أحسبه قال ـ: عاقل[2] .

---

(١) «حلية الأولياء» (٦/ ٢٩٨)، و«صفة الصفوة» (٣/ ٣٥٤ ـ ٣٥٥).

(٢) «صفة الصفوة» (٤/ ٢١٥)، و«تهذيب الكمال» (١٨/ ١٥ ـ ١٦).

● قال القعقاع بن حكيم:

قد استعددتُ للمـوت منذ ثلاثين سنة! فلو أتاني ما أحـببتُ تأخير شيء عن شيء![1] .

● قال سفيان الثوري:

رأيت شيخًا في مسجد الكوفة يقول: أنا في هذا المسجد منذ ثلاثين سنة أنتظر الموتُ أن ينزل بي، لو أتاني ما أمرته بشيء ولا نهيته عن شيء، ولا لي على أحدٍ شيء، ولا لأحد عندي شيء![2] .

● كان يزيد الرقاشي يقول:

إلى متى نقول: غدًا أفعل كذا، وبعـد غدٍ أفعل كذا، وإذا أفطرتُ فعلت كذا، وإذا قدمتُ من سفري فعلتُ كذا؟!

أغفلت سفرك البعيد، ونسيت ملك الموت؟

أما علمت أن دون غدٍ ليلةٌ تُخترم فيها أنفسٌ كثيرة؟

أما علمت أن ملك الموت غير منتظر بك أملك الطويل؟

أما علمت أن الموت غاية كل حي؟

قال: ثم يبكي حتى يبلَّ عمامته، ثم يقول:

لو رأيته صريعًا بين أحبابه لا يـقدر على ردِّ جوابهم، بعد أن كان جدلاً خصمًا سمحًا كريمًا عليهم؟

أيها المغتر بشبابه! أيها المغتَرُّ بطول عمره!

قال: ثم يبكي حتى يبلَّ عمامته![3] .

---

(١) «إحياء علوم الدين» (٤/ ٦٦٣).

(٢) «إحياء علوم الدين» (٤/ ٦٦٣)، و«قصر الأمل» ص(٧١).

(٣) «قصر الأمل» ص(٧١، ٧٢).

● قال عمر بن ذر:

ابنُ آدم إنما يتعجلُ أفراحَه بكاذب آماله، ولا يتعجَّل أحزانَه بأعظم أخطاره![١].

● قال مالك بن ضيغم:

ما سمعتُ أبي يُنشد من الشعر شيئًا إلا هذه الأبيات:

قل للمؤمِّل والمنايا شُرَّعٌ ... ماذا يغرُّك يا ابنَ مَنْ لم يَخْلُدِ
يا ابنَ الذين تقطَّعت أوصالُهم ... ترجو البقاءَ وأنت غيرُ مُخَلَّدِ
وأبوك مالكُ كان يأمُلُ ما ترى ... حتى أَتَتْهُ منيَّةٌ لم تُرْدَدِ

قال: فإذا قالها، بكى وأبكى[٢].

● عن عتبة بن هارون قال: قال ابن أبي عَمْرة:

يا أيُّهذا الذي قد غرَّه الأملُ ... ودونَ ما يَأْمُلُ التنغيصُ والأَجَلُ
ألا ترى أنَّما الدنيا وزينتُها ... كمنزلِ الرَّكْبِ دارًا ثَمَّةَ ارتحلوا
حُتوفها رَصَدٌ وَعَيْشُها نَكَدٌ ... وصفوها رَنَقٌ ومُلْكُها دُوَلُ
تَظَلُّ تُفْزِعُ في الرَّوعات ساكِنَها ... فما يسوغُ له لِينٌ ولا جَذَلُ
كأنه للمنايا والرَّدى عَرَضٌ ... تظلُّ فيه بناتُ الدهر تنتضِلُ
المرء يشقى بما يسعى لوارثه ... والقبر وارثُ ما يسعى له الرجلُ[٣]

● كان عبد اللَّه بن مرزوق يتمثل كثيرًا بهذا البيت

ومؤمِّلٍ والموت دون رجائه ... ومحاذرٍ أكفانه لم تُغزَلِ[٤]

---

(١) «قصر الأمل» ص(٧٢).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٤٢١)، و«صفة الصفوة» (٣/ ٣٥٧ ـ ٣٦٠).

(٣) «قصر الأمل» ص(٧٢)، وما بعدها.

(٤) «صفة الصفوة» (٢/ ٣١٧).

● كان عبد اللَّه بن ثعلبة الحنفي يقول:

«تضحك ولعل أكفانك قد خرجت من عند القصار»[١].

● قال عبد اللَّه بن زبيد الأيامي:

التقى رجلان من الحكماء، فتذاكرا الموت.

فقال أحدهم: ما أكدر عيش مَنْ قصر أمله.

فقال الآخر: لا أقول ما قلت.

قال: فماذا تقول؟

قال: أقول: ما أصفى عيش من كان كذلك!

قال: أي أخي! وكيف ذلك؟

قال: قد استراح في عاجل الأمر، إلا مما يقوم به رمق النفس![٢].

● عن عتبة بن عبد اللَّه قال:

قالوا لعون بن عبد اللَّه: ما أنفعُ أيامِ المؤمن له؟

قال: يوم يلقى ربَّه، فيُعْلِمه أنه راضٍ.

قالوا: إنما أردنا من أيام الدنيا.

قال: إن من أنفع أيامه له في الدنيا ما ظَنَّ أنه لا يُدرِكُ آخرَه![٣].

● قال عون بن عبد اللَّه بن عتبة:

وَيْحِي! كيف أغفل عن نفسي وملك الموت ليس بغافل عني؟!

وَيْحِي! كيف أتَّكل على طول الأمل والأَجَل يطلبني؟![٤].

---

(١) «حلية الأولياء» (٦/ ٢٤٥)، و«إحياء علوم الدين» (٤/ ٦٦٣).

(٢) «قصر الأمل» ص(٧٤، ٧٥).

(٣) «قصر الأمل» ص(٧٥).

(٤) من مقولة طويلة له في «حلية الأولياء» (٤/ ٢٥٨).

● عن محمد بن واسع قال:

أربعة من الشقاء: طولُ الأمل، وقسوةُ القلب، وجمودُ العين، والبخل[١].

● قال الفضيل بن عياض:

إن من الشقاء طولَ الأمل، وإن من النعيم قِصَرَ الأمل[٢].

● قال بكر بن عبد اللَّه المزني:

كانت امرأة متعبِّدة، وكانت إذا أمست قالت: يا نفسُ! الليلة ليلتك، لا ليلة لكِ غيرها!.

فإذا أصبحت قالت: يا نفس! اليوم يومك، لا يوم لكِ غيره. فاجتهدت[٣].

● قال صدقة أبو محمد الزاهد:

خرجنا في جنازة بالكوفة، وخرج فيها داود الطائي، فانتبذ مقعد ناحيةٍ وهي تُدفن، فجئت قريبًا منه، فتكلم فقال: من خاف الوعيد قصر عليه البعيد، ومن طال أمله ضعف عمله، وكل ما هو آتٍ قريبٌ.

واعلم ـ أي أخي ـ أن كل شيء يشغلك عن ربك فهو عليك مشؤوم.

واعلم أن أهل الدنيا جميعًا من أهل القبور، إنما يندمون على ما يخلِّفون، ويفرحون بما يقدِّمون، ممَّا عليه أهلُ القبور ندموا أهلُ الدنيا عليه يقتتلون، وفيه يتنافسون، وعليه عند القضاء يختصمون![٤].

(١) «صفة الصفوة» (٣/ ٢٦٦)، «الأعلام».
(٢) «قصر الأمل» ص(٧٦).
(٣) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب.
(٤) «حلية الأولياء» (٧/ ٣٥٧ ـ ٣٥٨).

● كتب الربيع بن خثيم إلى بعض إخوانه:

أن رُمَّ جهازك، وكن وصيَّ نفسك، ولا تجعل أوصياءك الرجال(١).

● وفي «الحلية»: «أعد زادك، وخذ في جهادك وكن وصي نفسك».

ويعني بعدم وصية الرجال: أن لا يبقى عنده شيء من الدنيا فيوصي به.

● أنشد الحسين بن عبد الرحمن:

يأمُلُ المرءُ أبعد الآمالِ ... وهو رهنٌ بأقرب الآجالِ
لو رأى المرءُ رأيَ عينيه يومًا ... كيف صولُ الآجال بالآمال
لتناهى وقَصَّر الخطو في الـ ... ـلهو ولم يغْتَرَّ بدار الزوال
نحن نلهو ونحن تُحصى علينا ... حركاتُ الإدبار والإقبال
فإذا الساعة الخفية حُمَّت ... لم يكن عَثْرُ عاثرٍ بمُقَال
نحن أهلُ اليقين بالموت والـ ... بعثِ وعرضِ الأقوال والأعمال
ثم لا نرعوي وقد أعذر الـ ... ـلَّهُ بطول البقا والإمهال
أيَّ شيء تركتَ يا عارفًا ... باللَّه للممترين والجُهَّال
تركبُ الشيء ليس فيه سوى ... أنك تهواه، فعلَ أهلِ الضلال
أنت ضيف، وكل ضيف وإن ... طالت لياليه مؤذِن بارتحال
لو تزوَّدتَ من تُقى اللَّه ... زادًا وتجنَّبْتَ باهظَ الأثقال

---

(١) لفظه في كتاب «الزهد» للإمام أحمد (٢/ ٢١٤): «ذم جهارك وافرغ من زادك وكن وصي نفسك، ولا تجعل أوصياءك الرجال»، «قصر الأمل» ص(٧٩)، وانظر: «الحلية» (٢/ ١٠٧).

(٢) «قصر الأمل» ص(٨٠ ـ ٨١).

أيها الجامعُ الذي ليس يدري كيف جَورُ الأهلينَ والأموال
يستوي في الحساب والبعث والـ موقفِ أهلُ الإكثارِ والإقلال
ثم لا يقتسمون النار والـ جنةَ إلا بسالفِ الأعمال[١]

● عن أبان بن سُلَيم الصوري، أنه كتب إلى بعض إخوانه:

أما بعد، فإنك أصبحت تجدِّد الدنيا بطول أملك، وتتمنَّى على اللَّه الأماني بسوء فعلك، وإنما صرت حديدًا باردًا. والسلام.

● وقال بعض الحكماء:

احذر طولَ الأمل، فإنه سببُ هلاك الأمم.

باللَّه من طول الأمل، فإنه يمنع خير العمل[٢].

● قال بعض الحكماء:

الأمل سلطان الشيطان على قلوب الغافلين[٣].

● كان بكر بن عبد اللَّه المزني يقول:

إذا أردت أن تنفعك صلاتُك فقل: لعلي لا أصلي غيرها[٤].

● قال الحسن:

ما أطال عبد الأمل إلا أساء العمل.

وقال: إذا سرَّك أن تنظر إلى الدنيا. بعدك، فانظر إليها بعد غيرك[٥].

● قال عون بعد عبد اللَّه:

كم من مستقبلٍ يومًا لا يستكمله، ومنتظر غدًا لا يبلغه. لو تَنظرون إلى

---

(١) «قصر الأمل» ص(٧٩).
(٢، ٣، ٤) «قصر الأمل» ص(٨١ ـ ٨٢).
(٥) «الزهد» للحسن البصري ص(٨٢)، وهو مروي عن الفضيل بن عياض في «الزهد الكبير» للبيهقي ص(١٩٤) رقم (٤٦٧).

الأجل ومسيره، لأبغضتم الأمل وغروره[١] .

● عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لرجل وهو يعظه:

«اغتنم خمسًا قبل خمس: شبابك قبل هَرَمك، وصحتكَ قبل سُقْمِك، وغناكَ قبل فَقْرِك، وفَراغك قبل شُغْلك، وحياتك قبل موتك»[٢] .

● وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ :

«نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ»[٣] .

● عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :

«من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل. ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة»[٤] .

● وكان رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال:

«أيها الناس، اذكروا الله، اذكروا الله، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه»[٥] .

---

(١) «قصر الأمل» ص(٨٤).

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣٠٦)، وقال: صحيح على شرط الشيخين. قال الحافظ العراقي: أخرجه ابن أبي الدنيا بإسناد حسن «إحياء علوم الدين» الهامش (٤/ ٦٦٧).

(٣) رواه البخاري في «صحيحه» كتاب الرقاق ـ باب الصحة والفراغ.

(٤) رواه الترمذي في «سننه»، كتاب صفة القيامة (٤/ ٦٣٣) رقم (٢٤٥٠) وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث أبي النَّضْر.

قلت: لكن ورد في «مسند الترمذي» «يزيد بن سنان التميمي» بدل «بُرْد بن سنان» في «سند ابن أبي الدنيا». وأدلج معناه: سار من أول الليل.

(٥) **صحيح**: رواه الترمذي في «سننه» كتاب صفة القيامة، و«الرقائق والورع».

قال البخاري: الراجفة: النفخة الأولى، والرادفة: النفخة الثانية.

● وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال:

خرج علينا رسول الله ﷺ والشمسُ على أطراف السَّعَف، فقال: **«ما بقي من الدنيا إلا مثل ما بقي من يومنا هذا إلى ما مضى منه»**(١).

● عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما:

أن رسول الله ﷺ كان إذا خطب فذكر الساعة، رفع صوته، واحمرَّت وجنتاه، كأنه منذرُ جيشٍ يقول: صبَّحتْكُم أو مسَّتْكُم. ثم يقول: **«بُعثت أنا والساعة كهاتين»** يفرِّق بين إصبعيه السبابة والتي تليها: صبَّحَتْكم الساعةُ ومسَّتْكم(٢).

● عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«بُعِثْتُ أنا والساعة كهاتين»(٣).

---

(١) قال الحافظ العراقي: أخرجه ابن أبي الدنيا في «قصر الأمل» بإسناد حسن.

(٢) رواه الإمام مسلم في «صحيحه»، كتاب الجمعة ـ باب تخفيف الصلاة والخطبة (٣/ ١١). وابن خزيمة في «صحيحه» (٣/ ١٤٣) رقم (١٧٨٥). وأبو نعيم في الحلية» (٣/ ١٨٩) وقال: حديث صحيح ثابت من حديث محمد بن علي رواه وكيع وغيره عن الثوري. وأورده ابن أبي الدنيا في كتاب «الأهوال» أيضًا ص(٣٠) رقم (٣)، وقال محققه في تخريجه: حديث صحيح وإسناده حسن.
وفي الباب عن أنس عند «البخاري» (٧/ ١٩٠ ـ ١٩١)، و«مسلم» (٨/ ٢٠٨)، والترمذي (٤/ ٤٩٦). وعن سهل بن سعد عند «البخاري» (٦/ ٧٩)، (٧/ ١٩١)، و«مسلم» (٨/ ٢٠٨). وعن المستورد بن شداد الفهري في «الترمذي» (٤/ ٤٩٦).

(٣) رواه البخاري في «صحيحه»، كتاب الرقاق ـ باب قول النبي ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين» (٧/ ١٩١)، وابن ماجه في كتاب الفتن ـ باب أشراط الساعة (٢/ ١٣٤١) رقم (٤٠٤٠)، وعند البخاري ـ في آخر الحديث: «يعني إصبعين»، وعند ابن ماجه: «وجمع بين إصبعيه». ورواه الطبري في «تاريخه» (١/ ١٢)، وفي آخره: وأشار بالسبابة والوسطى. وأورده المصنف في كتابه «الأهوال» ص(٣٢) رقم (٤)، وقال محققه: حديث صحيح وإسناده حسن.

• وعن عبد اللَّه بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

«ما لي وللدنيا؟! إنما مَثَلي ومَثَلُ الدنيا كمثل راكبٍ قَال في ظل شجرة في يوم صائف فراح وتركها»(١) .

• قال عمر بن عبد العزيز:

لقد نغَّص هذا الموت على أهل الدنيا ما هم فيه من غضارة الدنيا وزينتها، فبينما هم فيه كذلك وعلى ذلك، أتاهم حياضُ الموت فاخترمهم. فالويل والحسرة هنالك لمن لم يحذر الموت ويذكره في الرخاء، فيقدم لنفسه خيراً يجده بعد ما فارق الدنيا وأهلها.

ثم غلبه البكاء فقام(٢) .

• عن رجل من عبد القيس، أن حذيفة كان يقول:

ما من صباح ولا مساء إلا ومنادٍ ينادي: يا أيها الناس! الرحيل الرحيل!

وإن تصديق ذلك في كتاب اللَّه عز وجل: ﴿**إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ * نَذِيراً لِّلْبَشَرِ * لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ**﴾، قال: في الموت، ﴿**أَوْ يَتَأَخَّرَ**﴾ قال: في الموت(٣) .

---

(١) رواه الترمذي في «سننه»، كتاب الزهد (٥٨٨/٤ ـ ٥٨٩) رقم (٢٣٧٧) وقال: حديث حسن صحيح، وقال: وفي الباب عن عمر وابن عباس. وابن ماجه في «السنن» ، كتاب الزهد ـ باب مثل الدنيا (١٣٧٦/٢) رقم (٤١٠٩). وأبو نعيم في «الحلية» (١٠٢/٢)، وقال: لم يروه عن عمرو بن مرة متصلاً مرفوعًا إلا المسعودي. وأورده ابن أبي الدنيا في كتابه «ذم الدنيا» ص(٥٤ ـ ٥٥) رقم (١٣٣) وقال محققه: إسناده حسن، والحديث صحيح.

(٢) «حلية الأولياء» (٢٦٤/٥).

(٣) «إحياء علوم الدين» (٦٦٨/٤).

● عن سحيم مولى بني تميم قال:

جلستُ إلى عامر بن عبد اللَّه وهو يصلي، فجوَّز في صلاته، ثم أقبل عليَّ فقال: أرحني بحاجتك فإني أبادر!

قلت: وما تبادر؟

قال: ملكَ الموت، رحمك اللَّه!

قال: فقمت عنه، وقام إلى صلاته(١) .

● مرَّ داود الطائي، فسأله رجلٌ عن حديث، فقال: دعني، فإني إنما أبادر خروج نفسي!(٢) .

● عن أبي بكر الصوفي قال: سمعت أبا معاوية الأسود يقول:

إن كنت يا أبا معاوية تريد لنفسك الجزيل، فلا تنامنَّ الليل ولا تقيل.

قدِّم صالح الأعمال، ودع عنك كثرة الأشغال.

بادر ثم بادر قبل نزول ما تُحاذر.

ولا تهتمَّ بأرزاق من تُخَلِّف، فلستَ أرزاقَهم تُكَلَّف(٣) .

● قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

التؤدة في كل شيء خير، إلا في أمر الآخرة(٤) .

● عن عبد الواحد بن صفوان قال:

كنا مع الحسن في جنازة، فقال: رحم اللَّه امرءًا عمل لمثل هذا اليوم.

---

(١) «إحياء علوم الدين» (٤/ ٦٦٨)، و«قصر الأمل» ص(١٠٣).

(٢) «إحياء علوم الدين» (٤/ ٦٦٨)، «قصر الأمل» ص(١٠٣).

(٣) «حلية الأولياء» (٨/ ٢٧٢)، «صفة الصفوة» (٤/ ٢٧١ ـ ٢٧٢) في حديث طويل.

(٤) «الزهد» لابن حنبل (١/ ٢٩)، وورد الحديث مرفوعًا إلى النبي ﷺ بسند آخر، أورده البيهقي في «الزهد الكبير» ص(٧٩).

إنكم اليوم تَقْدِرون على ما لا يَقْدِرُ عليه إخوانكم هؤلاء من أهل القبور. فاغتنموا الصحة والفراغ، قبل يوم الفزعة والحساب[١] .

● كان مالك بن دينار يقول لنفسه:

ويحكِ! بادري قبل أن يأتيك الأمر! ويحكِ بادري قبل أن يأتيك الأمر! ويحكِ بادري قبل أن يأتيك الأمر!

قال: فسمعته يقول ذلك ستين مرة[٢] .

● كان الحسن يقول في موعظته:

المبادرة عبادة، المبادرة! فإنما هي الأنفاس، لو قد حُبست انقطعت عنكم أعمالكم التي تقرَّبون بها إلى اللَّه عز وجل.

رحم اللَّه امرءًا نظر لنفسه، وبكى على ذنوبه! ثم قرأ هذه الآية:

﴿ **إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا** ﴾.

ثم يبكي ويقول: آخر العدد خروجُ نفسك.

آخر العدد فراقُ أهلك.

آخر العدد دخولك في قبرك[٣] .

● عن محمد بن علي:

﴿ **إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا** ﴾: النَّفَس[٤] .

● عن صالح بن موسى الطلحي، عن أبيه قال:

---

(١) «قصر الأمل» ص(١٠٥).

(٢) «قصر الأمل» ص(١٠٦).

(٣) «إحياء علوم الدين» (٤/ ٦٦٨).

(٤) وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما كما في «تفسير ابن كثير» (٣/ ١٣٧).

اجتهد الأشعري قبل موته اجتهادًا شديدًا، فقيل له: لو أمسكت أو رفقتَ بنفسك بعض الرفق؟

فقال: إن الخيل إذا أُرسلت فقاربتْ رأسَ مجراها، أخرجتْ جميعَ ما عندها، والذي بقي من أَجَلي أقلُّ من ذلك!.

قال: فلم يزل على ذلك حتى مات[١].

● قال خليد العصري:

كلُّنا قد أيقن بالموت، وما نرى له مستعدًا!

وكلُّنا قد أيقن بالجنة، وما نرى لها عاملاً!

وكلُّنا قد أيقن بالنار، وما نرى لها خائفًا!

فعلامَ تعرَّجون؟ وما عسيتم تنتظرون؟ الموت؟ فهو أول واردٍ عليكم من اللَّه، بخير أو بشرٍّ!

يا إخوتاه سيروا إلى ربكم سيرًا جميلاً[٢].

● كان صالح بن بشير يتمثل هذا البيت في قصصه:

وغائبُ الموت لا ترجون رجعته ... إذا ذوو سفرٍ من غيبةٍ رجعوا

قا: ثم يبكي ويقول: هو واللَّه السفر البعيد فتزودوا لمراحله، فإن خير الزاد التقوى.

واعلموا أنكم في مثل أمنيتهم، فبادروا الموت، فاعملوا له قبل حلوله.

قال: ثم بكى[٣].

---

(١) «إحياء علوم الدين» (٤/ ٦٦٨ ـ ٦٦٩)، و«قصر الأمل» ص(١٠٨).

(٢) «صفة الصفوة» لابن الجوزي (٣/ ٢٣١).

(٣) «حلية الأولياء» (٦/ ١٦٨).

● قال سلمان الفارسي:

أُصبح على وَجَل وأُمسي على وَجَل[١].

● عن مطيع بن سعيد الثقفي قال: سمعت الحجاج بن يوسف يخطب على المنبر وهو يقول:

رحم اللَّه امرءًا نظر لنفسه، بادرًا فَوْتَها قبل أن ينزل الموت بها.

قال: ثم ينزل الموت بها.

قال: ثم نزل عن المنبر وهي يبكي[٢].

● قال الربيع بن برة:

عجبتُ للخلائق كيف ذُهلوا عن أمرٍ حقٍّ تراه عيونهم، وتشهد عليه معاقد قلوبهم، إيمانًا وتصديقًا بما جاء به المرسلون، ثم ها هم في غفلة عنه، سكارى يلعبون![٣].

● عن الحسن قال:

﴿الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾، قال: زيَّن لهم الخطايا، ومدَّ لهم في الأمل[٤].

● عن أبي العباس الوليد بن مسلم قال: قال بعض الخلفاء على المنبر:

اتقوا اللَّه عباد اللَّه ما استطعتم، وكونوا قومًا صيح بهم فانتبهوا، وعلموا أن الدنيا ليست لهم بدار فاستبدلوا.

---

(١) «قصر الأمل» ص(١١٢).

(٢) «قصر الأمل» ص(١١٣).

(٣) «حلية الأولياء» (٦/ ٢٩٧)، «صفة الصفوة» (٣/ ٣٥٣).

(٤) «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (١٦/ ٢٤٩).

واستعِدُّوا للموت فقد أظلَّكم، وترحَّلوا فقد جُدَّ بكم.

وإن غايةً تنقصها اللحظة وتهدمها الساعة لجديرة بقصر المدة.

وإن غائبًا يجدُّ به الجديدان: الليلُ والنهارُ، لحريٌّ بسرعة الأوبة.

وإن قادمًا يحلُّ بالفوز أو الشِّقوة لمستحقٌّ لأفضل العُدَّة.

فالتقيُّ عند ربِّه مَنْ ناصح نفسه، وقدَّم توبته، وغلب شهوته. فإن أَجَله مستورٌ عنه، وأمله خادعٌ له، والشيطان موكَّل به يمنِّيه التوبة ليسوِّفها، ويزيِّن إليه المعصية ليرتكبها، حتى تهجم منيَّتُه عليه أغفلَ ما يكون عنها.

وإنه ما بين أحدكم وبين الجنة أو النار إلا الموت أن ينزل به!

فيا لها حسرةً على كل ذي غفلةٍ، أن يكون عمره عليه حجة، وأن تُرْديه أيامه إلى شقوة.

جعلنا اللَّه وإياكم ممَّن لا تبطره نعمة، ولا تقصر به عن طاعة اللَّه معصية، ولا يَحِلُّ به بعد الموت حسرة. إنه سميع الدعاء، وإنه بيده الخير، وإنه فعَّال لما يشاء[1].

● عن صفوان بن هبيرة قال:

قدم علينا عبد الملك بن أيوب النميري واليًا من قبل أبي جعفر، فاستحفيناه، فخطبنا يوم الجمعة فقال:

الحمد للَّه الذي علا في سمائه، وقهر في ملكه، وعدل في حكمه، وسمي الجبار لجبروته. فله الأسماء والأمثال العُلا، يعلم السرَّ وأخفى، وهو بالمنظر الأعلى.

أحمده على توالي مننه، وتظاهر نعمه. وأعوذ بجلاله و... من

(١) «إحياء علوم الدين» (٤/ ٦٦٩).

سطواته ونقمه.

وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، أرسله بوحي منظوم، وأمر معلوم، وختم معزوم. فنطق بالصدق، ودعا إلى الحق. وكان كما قال اللَّه عز وجل رؤوفًا رحيمًا ﷺ.

أوصيكم عباد اللَّه بتقوى اللَّه، وأحذِّركم الدنيا، فلقد صحبها أقوام، فواللَّه ما بقيت لهم، ولا بقوا عليها. بل تخرَّمتهم الآجال، وأفنتهم المنايا، فصارت منازلهم حُفرًا، وصاروا للقبور سكانًا، وللأموات جيرانًا.

فبادروا الموت قبل أن يحلّ منكم بحوالثه، ويُمكَّن منكم بمخالبه، فيطفئ الأبصار... نورها، ويحمل الأجسادَ إلى قبورها... كفنه، ويفرِّق بينه وبين سكنه، ويلحق بسيِّئه وحَسَنه، ويقلُّ الرد عنه البواكي وتولَّى عنه الأكفُّ الحواني، ويصير بمنزلة الغريب الثاوي. ولا يُمَدُّ له في الأجل، ولا يُعَدَّد بالعِلل، ولا يؤخَّر للعمل، وقِبَل اليوم العسير، والشرِّ المستطير[1].

● عن الحسن قال:

تصبَّروا وتشدَّدوا، فإنما هي ليالٍ قلائل، وإنما أنتم رَكْبٌ وقوفٌ يوشك أن يُدعى الرجل منكم، فيجيب ولا يلتفت، فانتقلوا بصالح ما بحضرتكم[2].

● عن ميمون بن مهران أنه قال:

دخلتُ على عمر بن عبد العزيز يومًا وعنده سابق البربري الشاعر وهو ينشد شعرًا، فانتهى بشعره إلى هذه الأبيات:

وكم من صحيحٍ باتَ للموتِ آمنًا ... أتته المنايا بغتةً بعد ما هَجَعْ

---

(١) انظر: «الكامل في التاريخ» لابن الأثير (٥/ ٣٧ ـ ٥٣). وانظر: «قصر الأمل» ص(١١٥، ١١٦).

(٢) «إحياء علوم الدين» (٤/ ٦٦٩)، و«قصر الأمل» ص(١١٩).

ولم يستطعْ إذ جاءه الموت بغتةً | فرارًا ولا منه بقوَّته امتَنَعْ
فأصبح تبكيه النساء مقنَّعًا | ولا يسمعُ الداعي وإن صوته رَفَعْ
وقُرِّب من لحدٍ صار مقيلَهُ | وفارق ما قد كان بالأمس قد جَمَعْ
ولا يترك الموتُ الغنيَّ لماله | ولا مُعْدَمًا في الحال ذا حاجة يَدَعْ

* * *

قال: فلم يزل عمر ﷺ يبكي ويضطرب، حتى غُشي عليه(١) .

● عن يونس بن عبيد يروي هذه الأبيات(٢) :

هو الموتُ لا ذو الصبر ينجيه صبره | ولا لجزوعٍ كارهِ الموت مَجْزَعُ
أري كلَّ ذي نفس وإن طال عمرها | وعاشتْ لها سمٌّ من الموت مُنْقَعُ
وكلُّ امريءِ لاقٍ من الموت سكرةً | له ساعةٌ فيها يَذِلُّ ويُصْرَعُ
فللَّه فانصح يا ابن آدم إنه | متى ما تُخادعْهُ فنفسَك تَخْدَعُ
واقبل على الباقي من الخير وارجُه | ولا تكُ ما لا خيرَ فيه تَتْبَعُ
فإنك مَنْ يُعجِبْكَ لا تَكُ مثلَه | إذا أنت لم تصنع كما كان يَصْنَعُ

* * *

● عن عُمارة بن عُمَير قال: كان النخعي يقول:

يا أيها الناس، إن الدنيا جُعلت قليلاً، وإنه لم يبق إلا قليلٌ من قليل(٤) .

* * *

(١) «الزهد الكبير» للبيهقي ص(٢٦٣) رقم (٦٨٨).
(٢) «قصر الأمل» ص(١٢٤).
(٣) «قصر الأمل» ص(١٢٤ ـ ١٢٥).

● عن الحجاج بن محمد قال:

كتبَ إليَّ أبو خالد الأحمر، فكان في كتابه:

إن الصدِّيقين كانوا يستحيون من اللَّه عز وجل أن يكونوا اليومَ على منزلةِ أمس![1].

● عن يحيى بن سَلمٍ قال: سمعت سفيان الثوري قال:

بلغني أن عمر بن الخطاب ﷺ كان يتمثَّل:

لا يغرَّنْكَ عِشاءٌ ساكنٌ ... قد تُوافي بالمنيَّات السَّحَر[2]

● وأنشد رجل هذه الأبيات عند بعض الخلفاء:

حياتك أنفاس تُعَدُّ فكلما ... مضى نَفَس منها انتقصتَ له جُزْءا

فتصبح في نقص وتُمسي بمثله ... فما لك معقول تحس به رُزءًا

يميتك ما يحسُّك في كل ساعة ... ويحدوك حادٍ لا يريد بك الهُزْءا[3]

* * *

● قال ابن أبي الدنيا: أنشدني بعض أصحابنا هذه الأبيات:

عمرٌ ينقضي وذنب يزيد ... ورقيب محضر عليَّ شهيدُ

واقترابٌ من الحُمام وتأ ... ميلٌ لطول البقا عصر جديد

أنا لاهٍ ولَلمنية حتمٌ ... حيث يممتُ منهلٌ مورود

كلَّ يومٍ يموت مني جزءٌ ... وحياتي تنفُّسٌ معدود

كم أخ قد رُزئتُه فهو وإن ... أضحى قريب المحلِّ مني بعيد

---

(١) «حلية الأولياء» (١٠/ ١٤٢).

(٢) «قصر الأمل» ص(٣١ - ٣٢).

(٣) «قصر الأمل» ص(٣٢ - ٣٣).

خلَسَتْهُ يدُ المنون فما لي ... خَلَفٌ منه في الورى موجود
كان لي مؤنسًا فغودر في ... نهارٍ عقيم صفيحه منضود
قل لنفسي بواعظات الجديدين ... إن... عن منزل سيبيد[1]

• وأنشد إبراهيم بن سعيد الأصبهاني لمحمد بن أيوب الأصبهاني ـ وقد رآه ـ:

رأيتك في النقصان مذْ أنت في المهدِ ... تقرِّبك الساعات من ساعة اللحدِ
ستضحك سنٌّ بعد عين تعصَّرتْ ... عليك وإن قالت بكيت من الوجد
أتطمع أن شيخًا لفقدك فاقد ... لعل سرور الفاقدين مع الفقد[2]

• عن أبي إسحاق قال:

قيل لرجل من عبد القيس: أوصِ.

قال: احذروا سوف[3].

• عن أبي الجلد قال:

قرأت في بعض الكتب أن «سوف» جند من جنود إبليس![4].

• قال الحسن: يا معشر الشباب إياكم والتسويف: سوف أفعل سوف أفعل.

• عن أبي بكر العدوي ـ رجل من قريش ـ قال:

كتب رجل من الحكماء إلى أخ له: أخي، إياك وتأمير التسويف على

(١) «قصر الأمل» ص(٣٤ ـ ٣٥).
(٢) «قصر الأمل» ص(١٣٦).
(٣) «قصر الأمل» ص(١٤٠).
(٤) «حلية الأولياء» (٦/ ٥٥)، وصيغته في «حلية الأولياء»: «وجدتُ التسويف جندًا من جنود إبليس، قد أهلك خلقًا من خلق اللَّه كثيرًا».

نفسك وإمكانه من قلبك، فإنه محلُّ الكَلال، وموئل الملال، وبه تُقطع الآمال، وبه تنقضي الآجال، وأنت - أي أخي - إن فعلت ذلك أدلتَ من عزمك، فاجتمع وهواك عليه فَعَلاه، واسترجعا من يديك من السآمة ما قد ولَّى عنك، ونَفَاه من جوارحك الحزن والمخافة، وأوثقه الشوق والمحبة، فعند مراجعته إياك لا تنتفع نفسك من يديك بنافعة، ولا تجيبك إلى نفعٍ جارحةٌ.

أي أخي! فبادر، ثم بادر، فإنك مُبَادَرٌ بك. وأسرع، فإنك مسروعٌ بك. وكأن الأمر قد بَغَتك، فاغتبطتَ بالتسرُّع، وندمت على التفريط، ولا قوة بنا وبك إلا بالله[1].

● عن أبي هريرة قال: تعودوا الخير فإن الخير عادة. وإياكم وعادة السُّوّاف. من سَوْفِ أو من سَوْفَ[2].

● أنشد محمود بن الحسن قوله:

زيَّنْتَ بيتك يا هذا وشَحَنْتَه ... ولعل غيرَك صاحبُ البيتِ
والمرءُ مرتهنٌ بسوفَ وليتني ... وهلاكُه من السَّوْف واللَّيْتِ
من كانت الأيام تسايره به ... فكأنه قد حلَّ بالموت
للَّه دَرُّ فتىً تدبَّر أمره ... فغدا وراح مبادرَ الفَوْتِ[3]

(١) «قصر الأمل» ص(١٤٢، ١٤٣).

(٢) وهو أيضًا من قول عبد اللَّه مسعود رضي الله عنه، بألفاظ متقاربة. انظر: «الزهد» لوكيع بن الجراح (١/ ٢٦٤، ٢٦٥ - ٢٦٦) رقم (٣٤، ٣٥)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (١٣/ ٣٠٣) رقم (١٦٤١٩).

وورد مرسلاً عن أبي الأحوص إلى الرسول ﷺ بلفظ: «تعوَّدوا الخير، فإن الخير بالعادة». كتاب «الزهد» لابن أبي عاصم ص(٤٦) رقم (٧٨).

(٣) «قصر الأمل» ص(١٤٣ - ١٤٤).

السَّوف: الصبر والمطل، ويعني التسويف هنا. والليت: من لَيْتَ.

● قال رجل من قريش من بني أمية:

دع عنك ما منَّت اللَّعلُّ ... خطبك فمن نفسك الأجلُّ
قد شمل الشيب عارضيه ... فعمره الأنزرُ الأقلُّ
صاح بك الدهر غيرَ صوت ... وأنت باللهو مستظلُّ
أما ترى حادي المنايا ... منك يوطَّأ له المحلُّ
كم فرَّق الدهر من جمعٍ ... ومن كثيرٍ رأيت قلُّوا
صيح في جمعهم بصوتٍ خلُّوا ... له الدارَ واستقلُّوا
من أحسن الظنَّ بالليالي ... زلَّت به للهلاك..[1]

● عن محمد بن الحارث قال:

رأيت الحسن صلى على جنازة، فكبَّر عليها أربعًا، ثم اطَّلع في القبر فقال: يا لها من عِظَة! يا لها من عِظَة - ومدَّ صوته بها - لو وافقت قلبًا حيًّا.

ثم قال: إن الموت فضح الدنيا، فلم يدع لذي لُبٍّ فرحًا. فرحم اللَّه امرءًا أخذ منها قُوْتًا مُبْلِغًا، وهضم الفضل ليوم فقره وحاجته، فكأن ذلك اليوم قد أظلَّكم![2].

● وعن الحسن قال:

كانوا يقولون: منع البرُّ النوم، ومن يخف يُدلج[3].

---

(١) «قصر الأمل» ص(١٤٥).

(٢) ورد جزء من الفقرة الأخيرة في مصادر متعددة. انظر: «الزهد الكبير» للبيهقي ص(٢١٧) رقم (٥٥٤)، و«الزهد» للإمام أحمد (٢/٢٢٦)، و«إحياء علوم الدين» (٤/٦٥٦).

(٣) «قصر الأمل» ص(١٤٦).

● أنشد أبو عبد اللَّه أحمد بن أيوب:

اغتنم في الفـــراغ فَضْلَ ركـــوعٍ فعسى أن يكون موتك بَغْتَـــهْ
كم صحيـــحٍ رأيتَ من غيـر سَـقْمٍ ذهبتْ نفسُه الصحيحـــة فَلْتَـــهْ[(١)]

● كتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز:

أما بعد، فكأنك بآخر من كُتب عليه الموت قد مات.

فأجابه عمر بن عبد العزيز:

أما بعد، فكأنك بالدنيا لم تكن، وبالآخرة لم تزل[(٢)] .

● كان محمد بن واسع إذا أراد أن ينام قال لأهله قبل أن يأخذ مضجعه: أستودكم اللَّـه، فلعلها أن تكون منـيَّتي التي لا أقوم فيهـا! فكان هذا دأبَه إذا أراد النوم![(٣)] .

● عن عبد اللَّه بن عمرو قال: مر النبي ﷺ وأنا أبني خُصًّا فقال لي: «**يا عبد اللَّه بن عمرو ما هذا؟ إن الأمر أسرع من ذلك**»[(٤)] .

● عن الحسن قال:

كنت أدخل بيوت أزواج النبي ﷺ في خلافـة عثمان، فأتناول سُقُفها بيدي![(٥)] .

---

(١) «الزهد الكبير» للبيهقي ص(٢٣٥)، و«جامع العلوم والحكم» (٢/ ٢٦٨).
(٢) «حلية الأولياء» (٥/ ٣٠٥).
(٣) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (٢/ ٢٦٣).
(٤) «رواه البخاري في «الأدب المفرد»، باب مـن بنى ص(١٦٢) رقم (٤٥٦). ورواه الترمذي في «سننه»، كـتاب «الزهد»، بـاب ما جاء فـي قصر الأمـل (٤/ ٥٦٨) رقم (٢٣٣٥)، وقال: حديـث حسن صحـيح. وابن ماجـه في «سننـه»، كتاب الزهـد ـ باب في البـناء والخراب (٢/ ١٣٩٣) رقم (٤١٦٠).
(٥) رواه البخاري في الأدب المفرد ـ باب التـطاول في البنيان ص(١٦٠) رقم (٤٥٠). وورد في «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (١/ ٨٦)، و«إحياء علوم الدين» (٤/ ٣٤٣).

● قال قيس بن أبي خالد: أتينا خبَّاب بن الأرت وهو يبني حائطًا فقال: إن المسلـم يُؤْجَر في كـل شيء إلا شيئًا يُـنفقه فـي التراب. ولولا أن الـنبيَّ ﷺ نهانا أن ندعو بالموت لدعوتُ به[١].

● عن وهب بن منبِّه قال:

لبث نوح في قومه ألف سنة إلا خمسـين عامًا يدعوهم إلى اللَّه ليس له بيت يسكن فيه. فقيل له: يا نبي اللَّه، لو اتخذت بيتًا يكنُّك.

قال: اليوم أموت، غدًا أموت. حتى أتاه الموت ولم يتخذ بيتًا![٢].

● قال ثابت البناني:

بنى أبو الدرداء مسـكنًا قَدْرَ بسطة، فمرَّ به أبو ذر فقـال: ما هذا؟ أتعمر دارًا قد أذن اللَّه في خرابها؟ لأن أمرَّ بك متمرِّغًا في عَذرَةٍ. أحبُّ إلي من أن أراك في هذا![٣].

● عن أبي الدرداء قال:

يا أهل دمشق استمعوا إلى قولِ أخٍ لكم ناصح:

قال: فاجتمعوا إليه فقال: ما لي أراكـم تبنون ما لا تسكنون، وتجمعون ما لا تأكـلون، وتأمُلـون ما لا تُدركون؟ فإنـه من كان قبـلكم بنـوا شديدًا،

---

(١) رواه البخاري فـي «صحيحه»، كتـاب المرضى ـ باب تمني المـريض الموت (٧/ ١٠) وكذا رواه في «الأدب المفرد» ـ باب من بـنى، ص(١٦١ ـ ١٦٢) رقم (٤٥٥). وروواه ابن ماجه في «سنـنه» عن طريـق حارثة بن مـضرِّب، عن خبـاب، كتاب الزهـد ـ باب في البـناء والخراب (٢/ ١٣٩٤) رقم (٤١٦٣). ولـفظه: «إن العبـد ليؤجر في نـفقته كلـها إلا في التراب» أو قال: «في البناء».

(٢) «قصر الأمل» ص(١٦٦ ـ ١٦٧).

(٣) «قصر الأمل» ص(١٦٨).

وأملوا بعيدًا، وجمعوا كثيرًا، فأصبح أملهم غرورًا، ومجمعهم بُورًا، ومساكنهم قبورًا[١].

إن كنت تطمع في الحياة فقد ترى … أربــاب دارك ساكَنوا الأمـوات

أنى تحس من الأكـارم ذكرهم … خلت الديار وبـادت الأصـوات

● وقال أحدهم:

يا أيها الباني الناسي منيَّته … لا تأمنَنَّ فإن الموتَ مكتوبُ

على الخلائق إن سرُّوا وإن فرحوا … فالموتُ حتفٌ لدى الآمالِ منصوبُ

لا تبنينَّ ديارًا لستَ تسكُنها … وراجعْ لنفسكَ فيما يُغْفَر الحَوْب[٢]

● بنى عبد اللَّه بن مسعود بيتًا في داره، فدعا عمار بن ياسر قال: كيف ترى؟

قال: بنيتَ شديدًا، وأملتَ بعيدًا، وتموت قريبًا[٣].

● عن أبي عبيدة الناجي قال: سمعت الحسن يقول:

تبني، وتزخرف، وتدعو الناس: انظروا؟ فقد نظرنا يا أفسق الفاسقين.

أما أهل الدنيا فغرُّوك، وأما أهل الآخرة فمقتوك![٤].

---

(١) رواه أبو نعيم في عبارة أطول وأحسن، وهي: يا أهل دمشق، أنتم الإخوان في الدين، والجيران في الدار، والأنصار على الأعداء، ما يمنعكم من مودتي وإنما مؤنتي على غيركم؟ ما لي أرى علماءكم يذهبون وجهالكم لا يتعلمون؟ وأراكم قد أقبلتم على ما تُكُفِّل لكم به وتركتم ما أُمرتم به؟ ألا إن قومًا بنوا شديدًا، وجمعوا كثيرًا، وأملوا بعيدًا، فأصبح بنيانهم قبورًا، وأملهم غرورًا، وجمعهم بورًا، ألا فتعلموا وعلموا، فإن العالم والمتعلم في الأجر سواء، ولا خير في الناس بعدهما. «حلية الأولياء» (١/ ٢١٣).

(٢) «قصر الأمل» ص(١٧٥).

(٣) «حلية الأولياء» (١/ ١٤٢).

(٤) «قصر الأمل» ص(٨١).

● قال عبد الله الرومي:

دخلتُ على أم طلق، فرأيت سقف بيتها قصيرًا، فقلت لها: يا أم طلق، ما لي أرى سقف بيتك قصيرًا؟

قالت: إن عمر بن الخطاب ﷺ كتب إلينا: لا تطيلوا بناءكم، فإنه من شرِّ أيامكم.

● أنشد الحسين عبد الرحمن:

بنوا مقاصير في الدنيا مشيَّدةً ... فمن لهم بخلود في المقاصير

● قال رجل ونظر إلى بناء لبعض الملوك:

يموت الذي يبني ويبقى بناؤه ... أليس ترابًا... في ذاك غيبةِ
فيا غافلاً عن نفسه أين من بنى ... مدائد امَّحت بعده اليوم قفرةِ
رمت بهم الأيام في عرضة البلى ... كأن لم يكونوا زينة الأرض مرَّةِ
وما زال هذا الموت يغشى ديارهم ... يكرُّ عليهم كرَّةً ثم كرَّةِ
فأجلاهمُ منها جميعًا فأصبحت ... مساكنهم في الأرض لحدًا وحُفْرةِ[1]

● قال رجل من قريش أموي:

رُبَّ قومٍ رأيتهم ... ليس في عيشهم كدرْ
في رياض سماؤها ... تمطر السؤل بالدُّررْ
ليس يخشون حاذرًا ... قد نأى عنهم الحَذَر
أوطنوا منزل الغرو ... رِ وساعدهم القَدَر
في مقاصير تخدَّت ... وقباب على السُّرر
وبساتين في المقاصي ... رِ يضحكن بالزَّهَر

---

(١) «قصر الأمل» ص(١٩٧).

وحَـــوارٍ كـأنـهـــنَّ الــــ   مـصـابـيــح والـصُّــورَ
بينمــا القــوم يجتنــون   جَـنَـى اللـهــو الـثَّـمَـر
صــاحـت الحـادثـات فيـهـم   بـصــوت لـــه غِـيَــر
فتـــولَّـــوا مـن القـصـــو   رِ إلــى مظـلـم الحُـفَـر[1]

● قال مسعر بن كدام[2] :

ومشيـدٍ دارًا ليـسكـن دارَه   سكن القبـور وداره لم يسكن

● عن أبي بكر بن عياش قال:

لـمَّا دخل الناسُ مع علي المدائن تمثَّل رجلٌ من أصحابه:

جرتِ الرياح على مكان ديارهم   فكأنما كانوا على ميعـادِ
وإذا النعيـم وكل ما يُلهى به   يومًا يصير إلى بِلىً ونفـادِ

فقال علي: لا تقل هكذا، ولكن قل كما قال اللَّه: ﴿كَمْ تَرَكُواْ مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * وَنَعْمَةٍ كَانُواْ فِيهَا فَاكِهِينَ * كَذَالِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾. إن هؤلاء القوم كانوا وارثين فأصبحوا موروثين، إن هؤلاء القوم استحلوا الحُرم فحلَّت بهم النِّقم، فلا تستحلوا الحُرم فتحلَّ بكم النِّقم[3] .

● كان عمر بن عبد العزيز لا يبني بنيانًا وقال: سنة رسول اللَّه ﷺ خيرٌ من الدنيا وما فيها، لم يبنِ بنيانًا، ولم يضع لَبِنة على لَبِنة، ولا قصبة على قصبة[4] .

(١) «قصر الأمل» ص(١٩٨).
(٢) «الزهد الكبير» ص(٢٢٩ ـ ٢٣٠)، و«حلية الأولياء» (٧/ ٢٢١).
(٣) «قصر الأمل» ص(٢٠٦ ـ ٢٠٧).
(٤) وكذا رواه الحسن البصري مرسلاً.

● عن مـالك بن يخـامر السكـسكي: أن قـومًا دخلوا عـليه يعـودونه، فقالوا: إنـا منزلك من المديـنة موضع جيد فلـو رممته، فقال: إنما نـحن سَفْر نازلون، نزلنا للمقيل فإذا برد النهار وهـبت الريح ارتحلنا ولا أعالج منها شيئًا حتى ارحل منها[1] .

* * *

(١) «قصر الأمل» ص(٢٠٩).

«طـــول الأمـــل»

● عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ خط خطوطًا وخط خطًا ناحية، وقال: **«هل تدرون ما هذا؟ هذا مثل ابن آدم ومثل التمني، وذلك الخط الأمل بينما يأمل إذا جاءه الموت»**(١) .

● وعن أنس بن مالك قال: قال ﷺ :

«يهرم ابن آدم ويبقى منه اثنتان الحرص وطول الأمل»(٢) .

● عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رجلاً قال للنبي ﷺ : أي المؤمنين أفضل؟ قال: **«أحسنهم خلقًا»**، قال: فأي المؤمنين أكيس؟ قال: **«أكثرهم ذكراً للموت وأحسنهم له استعداداً، أولئك الأكياس»**(٣) .

● عن أبي عبد الرحمن قال خطب علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالكوفة فقال: أيها الناس إن أخوف ما أخاف عليكم طول الأمل واتباع الهوى، فأما طول الأمل فينسي الآخرة، وأما اتباع الهوى فيصد عن الحق، ألا إن الدنيا قد ولت مدبرة، والأخرة قد ترحلت مقبلة، ولك واحد منهما بنون، فكونوا من

---

(١) أخرجه البخاري (١١/ ٢٣٨)، وقال الهيثمي: رواه أحمد بمعناه عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا ورجاله رجال الصحيح غير علي بن علي الرفاعي وهو ثقة «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٥٥).

(٢) قال العراقي في «تخريج الإحياء» (٤/ ٢٥٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «قصر الأمل» بإسناد صحيح ورواه ابن ماجه في باب ـ الأمل والأجل (٢/ ١٤١٥) رقم الحديث (٤٢٣٤)، وأخرجه السيوطي في «الجامع الصغير» ورمز إليه بالصحة ورواه البخاري ومسلم بتغير يسير، انظر: «فيض القدير» (٦/ ٤١٦).

(٣) قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في «الموت» وإسناده جيد، «تخريج ما في الإحياء» (٣/ ٢٣٤)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٠٩): رواه الطبراني في «الصغير» وإسناده حسن وأخرجه ابن ماجه في «سننه» (٢/ ١٤٢٣). وانظر: «الزهد الكبير» ص(٢٢٠).

أبناء الأخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب وغدًا حساب ولا عمل».

● عن ابن عمر رضي الله عنه قال: أخذ رسول اللَّه ﷺ بجسدي فقال: «**كن في الدنيا كأنك غريب، أو عابر سبيل، واعدد نفسك في الموتى وأهل القبور**». قال مجاهد: ثم قال لي عبد اللَّه بن عمر: يا مجاهد: إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء، وخذ من صحتك قبل سقمك، ومن حياتك قبل موتك، يا عبد اللَّه لا تدري ما اسمك غدًا»(١).

● قال الفضيل بن عياض: إنما أمس مثل، واليوم عمل، وغدًا أمل.

● قال الأصمعي:

سمعت أعرابيًا يقول: مضى أمسك، وعسى غدًا لغيرك.

● وعن الحسن قال:

الدنيا ثلاثة أيام: أما أمس فقد ذهب بما فيه، وأما غدًا فلعلك لا تدركه، فاليوم لك فاعمل فيه.

● قال يحيى بن معاذ الرازي:

دم جهازك، وهيئ زادك، وتهيأ للعرض على ربك جلت عظمته.

إن الحزن على الدنيا طويل، والموت من الإنسان قريب، وينتقص منه في كل وقت نصيب، وللبلى في جسمه ربيب، فبادر بالعمل قبل أن ينادى بالرحيل، واجتهد في العمل في دار الجهاد قبل أن تدخل دار المقر.

● وقال يحيى بن معاذ الرازي:

المغبوط من ترك الدنيا قبل أن تتركه، وبنى قبره قبل أن يدخله، وأرضى ربه

---

(١) **إسناده صحيح**: «الزهد الكبير» ص(٢٢٣).

قبل أن يرضاه.

● وعن عطاء السلمي لما عوتب في الرفق بنفسه فقال:

أتأمرونني بالتقصير والموت في عنقي والقبر بيتي، وجهنم أمامي ولا أدري ما يصنع بي ربي عز وجل[1].

● قال أبو محمد الجريري:

كنت واقفًا على رأس الجنيد في وقت وفاته، وكان يوم الجمعة، وهو يقرأ القرآن، فقلت له: يا أبا القاسم ارفق بنفسك، فقال: يا أبا محمد رأيت أحدًا أحوج مني في هذا الوقت هو ذا تطوى صحيفتي؟؟

● قال السري:

اجعل قبرك خزانتك، احشوها من كل عمل يمكنك، فإذا وردت على قبرك سرك ما ترى فيه.

● لقي خيثمة محاربًا فقال:

كيف حبك للموت؟ قال: ما أحبه.

قال: إن ذلك بك لنقص كبير[2].

● قال الحسن البصري ذات يوم لجلسائه: يا معشر الشيوخ ما ينتظر بالزرع إذا بلغ؟ قالوا: الحصاد. قال: يا معشر الشباب إن الزرع قد تدركه العاهة قبل أن يبلغ[3].

● كتب حكيم إلى أخيه: اعلم أن الموت في الشباب كثير وآية ذلك أن الشيوخ قليل.

(١) انظر أيضًا: «صفة الصفوة» (٣/ ٢٤٥).
(٢) «الزهد الكبير» (٢٢٩).
(٣) «الزهد الكبير» (٢٣٠).

● قال بعض الحكماء:

عجبت ممن يحزن على نقصان ماله ولا يحزن على فناء عمره، وعجبت من الدنيا مولية عنه والآخرة مقبلة عليه يشتغل بالمدبرة ويعرض عن المقبلة.

● قال الحسن: ﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ [القيامة: ٢٩] هما ساقان إذا التفتا في الكفن.

● وعن يونس بن عبيد: قال:

شهدت الحسن فسمعته حين ثقل يقول: إنا للَّه وإنا إليه راجعون حتى فرغ، قال: فانكب عليه ابنه عبد اللَّه قال: يا أبت ما لك تسترجع؟ قد أفزعتنا فهل رأيت شيئًا؟ قال: يا بني استرجعت على نفسي التي لم أصب بمثلها[١].

● قال أبو الدرداء: ابن آدم طأ الأرض بقدمك؛ فإنها عن قليلٍ قبرك، ابن آدم إنما أنت أيام فكلما ذهب يوم ذهب بعضك، ابن آدم إنك لم تزل في هدم عمرك منذ يوم ولدتك أمك[٢].

● قال إبراهيم بن بشار:

مررت أنا وأبو يوسف الغولي في طريق الشام فوثب إليه رجل فسلم عليه، ثم قال: يا أبا يوسف عظني بموعظة أحفظها عنك. قال: فبكى، ثم قال: اعلم يا أخي أن اختلاف الليل والنهار ومرهما يسرعان في هدم بدنك وفناء عمرك وانقضاء أجلك، فينبغي لك يا أخي أن لا تطمئن ولا تأمن حتى تعلم أين مستقرك ومصيرك، وساخط عليك ربك بمعصيتك وغفلتك أو راض

(١) «الزهد الكبير» ص(٢٣٢).
(٢) «الزهد الكبير» ص(٢٣٣).

عنك بفضله ورحمته.

ابن آدم الضعيف نطفة بالأمس وجيفة غدًا، فإن كنت ترضى لنفسك فسترد، وتعلم وتندم في وقت لا ينفعك الندم، قال: فبكى أبو يوسف، وبكى الرجل، وبكيت لبكائهما ووقعا مغشيين عليهما(١).

● كتب الأوزاعي إلى أخ له: أما بعد:

فإنه قد أحيط بك من كل جانب واعلم أنه ليسار بك في كل يوم وليلة، فاحذر اللَّه والوقوف بين يديه، وأن يكون آخر عهدك به والسلام(٢).

● قال أبو معاوية الأسود وهو واقف على طور طرسوس:

من كانت الدنيا أكبر همه طال غدًا في القيامة غمه، ومن خاف الوعيد لها من الدنيا عما يريد، ومن خاف ما بين يديه ضاق ذرعه بما في يديه، إن كنت تريد لنفسك الجزيل فلا تنم الليل، قدم صالح الأعمال ودع عنك: كثرت الأشغال، بادر قبل نزول ما تحاذر ثم بكى(٣).

● قال روح بن مدرك وهو على المنبر:

الآن قبل أن تسقم فتضنى، وتهرم فتبلى، ثم تموت فتنسى، ثم تقبر فتبلى، ثم تبعث فتحيى، ثم تحضر فتدعى، ثم توقف فتجزى، بما قدمت وأمضيت، وأذهبت فأفنيت من موبقات سيئاتك، ومتلفات شهواتك فالآن الآن وأنتم سالمون(٤).

(١) «الزهد الكبير» ص(٢٣٣).
(٢) «الزهد الكبير» ص(٢٣٤)، «صفة الصفوة» (٤/ ٢٢٨).
(٣) المصدر السابق ص(٢٣٥).
(٤) نفس المصدر.

● قال عقيل بن عمرو في خطبته:

إخواني لا بد من الفناء فليت شعري أين الملتقى؟.

● وقال أحد الزهاد:

كونوا من اللَّه على حذر، ومن دنياكم على خطر، ومن الموت على وجل، ولقدوم الآخرة على عجل.

● قال منازل بن سعيد: صلينا خلف جنازة فيها داود الطائي، وهو لا يراني خلفه، فقال: أو ﴿وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾، ثم قال لنفسه: يا داود من خاف الوعيد قَصر عليه البعيد، ومن طال أمله قصر عمله، وكل ما هو آت قريب، واعلم يا داود أن كل شيء يشغلك عن ربك فهو مشئوم، واعلم يا داود أن أهل الدنيا جميعًا من أهل القبور، إنما يندمون على ما يخلفون، ويفرحون بما يقدمون، فما عليه أهل القبور يندمون، عليه أهل الدنيا يقتتلون وفيه يتنافسون، وعليه عند القضاء يختصمون، ثم نظر إلي فقال: لو علمت أنك خلفي لم أنطق بحرف[١].

● أقام معروف الصلاة، ثم قال لمحمد بن أبي توبة: تقدم، فقال:

إن صليت بكم هذه الصلاة لم أصل بكم غيرها، فقال معروف: وأنت تحدث نفسك أن تصلي صلاة أخرى، نعوذ باللَّه من طول الأمل فإنه يمنع خير العمل[٢].

● قال الفضيل بن عياض: قال ابن المبارك:

استعد للموت ولما بعد الموت فشهق عليّ شهقة فلم

(١) «الزهد الكبير» (٢٣٧).

(٢) «الزهد الكبير» (٢٣٧ ـ ٢٣٨).

يـــزل مغشيًّا عليه عامة الليل[١] .

● قال حاتم الأصم: سمعت شقيقًا يقول:

استعد إذا جاءك الموت أن لا تسأل الرجعة.

● قال حاتم:

ما من صباح إلا والشيطان يقول لي: مـا تأكل وما تلبس، وأين تسكن؟ فأقول: آكل الموت وألبـس الكفن، وأسكن القبر، قال ـ رحـمه اللَّه ـ: الزم خدمة مولاك تأتيك الدنيا راغمة، والجنة عاشقة.

● قال رابعة زوجة أحمد بن أبي الحـواري: ما رأيت ثلجًا قط إلا ذكرت تطاير الصحف، ولا رأيت جرادًا قط إلا ذكرت الحشر، ولا سمعت أذانًا قط إلا ذكرت منادي القيامة، قالت: وقلت لنفـسي: كوني في الدنيا بمنزلة الطير الواقع حتى يأتيك قضاءه.

● قال إسماعيل بن مسعود:

خرج الحسـن بن صالح بـن حيي يومًا مـن بيتي فنـظر إلى جراد يـطير فقال: ﴿ **يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ** ﴾، ثم خر مغشيًّا عليه.

● قال الربيع بن أبي راشد: لو فارق ذكر المـوت قلبي لخشيت أن يفسد، ولولا أن أخالف من كان قبلي لسكنت الجبّانة حتى أموت[٢] .

● قال إبراهيم بن أدهم:

دارنا أمامنا، وحياتنا بعد موتنا إمّا الجنة وإما إلى النار.

وقال لابـن بشار: يا بـن بشار مَـثِّل لبصـر قلبـك حضور ملـك الموت وأعوانه لقبض روحك، فانظر كيف تكون؟ ومثل له القيامة وأهوالها وأفزاعها

---

(١) «الزهد الكبير» ص(٢٣٧ ـ ٢٣٨).

(٢) «الزهد الكبير» ص(٢٤٠).

والعرض والحساب والوقوف فانظر كيف تكون؟ ثم خر مغشيًّا عليه.

● وقال ابن أدهم أيضًا:

إن للموت كأسًا لا يقوى على تجرعها لا خائف وَجِل طائع كان يتوقعها، فمن كان مطيعًا فله الحسنى والكرامة والنجاة من عذاب القيامة، ومن كان عاصيًا نزل بين الحسرة والندامة يوم الصاخة والطامة.

● وقال داود الطائي لسفيان:

إن تشرب الماء البارد والمروق، وتأكل اللذيذ المطيب وتمشي في الظل الظليل متى تحب الموت والقدوم على اللَّه عز وجل؟ فبكى سفيان(١).

● وقال إبراهيم بن أدهم لأبي ضمرة وقد رآه يضحك:

يا أبا ضمرة لا تطمعن فيما لا يكون، ولا تيأس مما يكون، فقلت: يا أبا إسحاق ما معنى هذا؟ فقال: ما فهمت؟ قلت: لا. قال: لا تطمعن في بقائك وأنت تعلم أن مصيرك إلى الموت فلم يضحك من يموت، ولا يدري إلى أين يصير بعد موت إلى جنة أم إلى نار، ولا تيأس مما يكون أنت لا تدري أي وقت يكون الموت صباحًا أو مساءً أو نهارًا، ثم قال: أوه أوه وسقط مغشيًّا عليه.

● وعن جعفر الصادق عن أبيه وقد جاءه رجل، فقال: أوصني. قال: هيئ جهازك، وقدم زادك، وكن وصي نفسك.

● وقال الحسن:

حقيقٌ على من كان الموت موعده، والقبر مورده والحساب مشهده، أن يطول بكاؤه وحزنه.

(١) «الزهد الكبير» ص(٢٤١).

● وقال الفضيل بن عياض:

كفى بالله محبًا وبالقرآن مؤنسًا وبالموت واعظًا وكفى بخشية الله علمًا والاغترار بالله جهلاً.

● نظر الحسن إلى ميت يدفن فقال: والله إن أمرًا هذا أوله لحري أن يخاف آخره، وإن أمرًا هذا آخره لحري أن يزهد في أوله.

● كتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز:

أما بعد. فمن كان آخر علته الموت فقد مات، فكتب إليه عمر بن عبد العزيز: أما بعد: فكأنك بالدنيا لم تكن، وكأنك بالآخرة لم تزل والسلام عليك.

● ودخل يزيد الرقاشي على عمر بن عبد العزيز فقال له: عظني. فقال: لست أول خليفة تموت يا أمير المؤمنين، قال: زدني. قال: لم يبق أحد من آبائك من لدن آدم إلى أن بلغت النوبة إليك إلا وقد ذاق الموت. قال: زدني. قال: ليس بين الجنة والنار منزل والله ﴿**إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ**﴾ وأنت أبصر ببرك وفجورك، فبكى عمر حتى سقط عن سريره.

● قال الحسن: «إن هذا الموت فضح الدنيا ولم يدع لذي لب فرحًا يا لها من موعظة لو وافقت من القلوب حياة».

● قال محمد بن كعب القرظي:

«إن الأرض لتبكي من رجل وتبكي على رجل، تبكي على من كان يعمل على ظهرها بطاعة الله، وتبكي ممن كان يعمل على ظهرها بمعصية الله قد أثقلها، ثم قرأ ﴿**فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ**﴾»[1].

(١) «البداية والنهاية» (٩/ ٢٦٩).

● كان سابق البربري يقول[1] :

فكم من صحيح بات للموت آمنا أتته المنايا بغتة بعد ما هجع
فلم يستطع إذ جاءه الموت بغتة فرارًا ولا منه بقوته امتنع
فأصبح تبكيه النساء مقنعًا ولا يسمع الداعي وإن صوته رفع
وقرّب من لحد فصار مقيله وفارق ما قد كان بالأمس قد جمع
فلا يترك الموت الغني لماله ولا معدمًا في المال ذا حاجةٍ يدع

● قال عمر بن عبد العزيز[2] :

تجهزي بجهاز تبلغين به يا نفس قبل الردى لم تخلقي عبثًا
ولا تكدي لم يبقى وتفتقري إن الردى وارث الباقي وما ورثا
مَنْ كان حين تصيب الشمس جبهته أو الغبار يخاف الشين والشعثا
ويألف الظل كي تبقى بشاشته فكيف يسكن يومًا راغمًا جدثًا
قفراء موحشة غبراء مظلمة يطيل تحت الثرى من قعرها اللبثا

● للَّه در القائل ناعيًا إلى المرء نفسه:

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى غير أن لا بقاء للإنسان
أنت خلوٌ من العيوب ومما يكرَه الناس غير أنك فان

● كان زين العابدين إذا مرت به الجنازة يقول:

نراع إذا الجنائز روعتنا ونلهو حين تمضي ذاهبات
كروعة ثلّة لمغار سبع فلمّا غاب عادت راتعات

* * *

(١) «البداية والنهاية» (٩/ ٢٢٣).
(٢) «البداية والنهاية» (٩/ ٢١٤).

● قال مطرف:

أفسد الموت على أهل النعيم نعيمهم، فاطلبوا نعيمًا لا موت فيه[١] .

● قال بشر بن الحارث:

«يا ليت شعري كيف يخرج المذنبون غدًا من قبورهم وأين مقر الظالمين غدًا من اللَّه عز وجل».

● وقال بشر بن الحارث:

«كان ابن سيرين إذا ذكر الموت عنده مات كل عضو منه».

● قال ثابت البناني:

«أي عبد أعظم حالاً من عبد يأتيه ملك الموت وحده، ويدخل قبره وحده، ويوقف بين يدي اللَّه وحده، ومع ذلك ذنوب ونعم من اللَّه كثيرة»[٢].

● قال قبيصة:

«ما جلست مع سفيان ـ يعني: الثوري ـ مجلسًا إلا ذكر فيه الموت، وما رأيت أحدًا كان أكثر ذكرًا للموت منه»[٣] .

● قال حماد بن سلمة كان سفيان الثوري عندنا بالبصرة وكان كثيراً يقول: ليتني مت، ليتني قد استرحت، ليتني في قبري، فقال له حماد بن سلمة: يا أبا عبد اللَّه ما أكثر تمنيك للموت، واللَّه لقد آتاك اللَّه القرآن والعلم، فقال سفيان لحماد: يا أبا سلمة وما يدريني لعلي أدخل في دعة لعلي أدخل فيما لا يحل، لعلي أدخل في فتنة أكون قد مت فسبقت هذا.

---

(١) «الزهد الكبير» ص(٢٤٤).

(٢) المرجع السابق.

(٣) «الزهد الكبير» ص(٢٤٦).

• قيل لربيع بن أبي راشد: ألا تجلس فتحدث؟ قال: إن ذكر الموت إذا فارق قلبي ساعة فسد عليّ قلبي، قال مالك بن مغول: ولم أر رجلاً أظهر حزنًا منه.

• التقى حسان بن أبي سنان وحوشب فقال حوشب لحسّان:

كيف أنت يا أبا عبد اللَّه؟ قال: ما حال من يموت، ثم يبعث، ثم يحاسب؟ أصبحت قريب أجلي، بعيد أملي، سيئ عملي.

• قيل للحسن كيف أصبحت يا أبا سعيد؟ كيف حالك؟ قال:

بأشد حال، ما حال من أمسى وأصبح ينتظر الموت، لا يدري ما يفعل اللَّه به.

• عن سلمة بن بشير أن أبا هريرة رضي الله عنه بكى في مرضه فقيل: ما يبكيك؟ فقال: أبكي لبعد سفري، وقلة زادي وأني أصبحت في صعود مهبطه على جنة أو نار فلا أدري إلى أيتها يسلك بي[١].

• وقيل للربيع بن خثيم كيف أصبحت يا أبا يزيد؟ قال:

«أصبحنا ضعفاء ومذنبين نأكل أرزاقنا وننتظر آجالنا»[٢].

• وقال رجل لعمر بن عبد العزيز كيف أصبحت يا أمير المؤمنين؟

قال: أصبحت بطيئًا بطينًا متلوثًا بالخطايا، أتمنى على اللَّه عز وجل الأماني.

• وقيل لإبراهيم بن عيسى اليشكري كيف أصبحت؟ فقال:

«أصبحت في أجل منقوص وعمل محفوظ والموت في رقابنا والقيامة من ورائنا ولا ندري ما يفعل اللَّه بنا»[٣].

---

(١) «الزهد الكبير» ص(٢٤٨).

(٢) «صفة الصفوة» (٣/ ٣٥).

(٣) «الزهد الكبير» ص(٢٤٩).

● قال المزني دخلت على الشافعي ـ رحمه الله ـ وهو عليل، فقلت: كيف أصبحت يا أبا عبد الله، فقال: أصبحت من الدنيا راحلاً وللإخوان [ولإخواني] مفارقًا، ولسوء أفعالي ملاقيًا، وعلى الله واردًا، ولكأس المنية شاربًا، ولا والله ما أدري أروحي تصير إلى الجنة فأهنيها أو إلى النار فأعزيها. ثم بكى وأنشأ يقول:

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي جعلت الرجا مني لعفوك سلمًا

تعاظمني ذنبي فلما قرنته بعفوك ربي كان عفوك أعظما

وما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل تجود وتعفو منّة وتكرمًا[1]

● قال مسعر بن كدام: كم من مستقبل يومًا ليس بمستكمله، ومنتظر غدًا، وليس بمستدركه، ولولا الأجل ومسيره لأبغضتم الأمل وغروره[2].

● وعن عون بن عبد الله قال: كم من مستقبل يومًا لا يتمه، ومنتظر لا يبلغه، ولو تنظرون إلى الأجل ومصيره لأبغضتم الأمل وغروره[3].

● وقال الأوزاعي:

من أكثر ذكر الموت كفاه اليسير، ومن عرف أن منطقه من عمله قل كلامه[4].

● كانت إحدى العابدات إذا أصبحت قالت:

يا نفس هذا اليوم ساعديني يومي هذا فلعلك لا ترين بياض يوم أبدًا، وإذا أمست، قالت: يا نفس هذه الليلة ساعديني ليلتي هذه فلعلك لا ترين

---

(١) «الزهد الكبير» ص(٢٤٩)، و«صفة الصفوة» (٢/ ١٣٦).

(٢) «الزهد الكبير» ص(٢٥٣).

(٣) «صفة الصفوة» (٣/ ٥٦)، و«الزهد الكبير» ص(٢٥٣).

(٤) «الزهد الكبير» ص(٢٥٣).

سواد ليلة أبدًا فما زالت تخدع وتدفع يومها بليلها وليلها بنهارها حتى ماتت على ذلك[١] .

● قال البيهقي ـ رحمه اللَّه ـ:

الموت كسوف قمر الحياة وخسوف شمسها، وهو ليوم الحياة مساء، والمحسن والمسيء فيها سواء وهو منتهى راحة قوم ومبتدأ عذابهم، والموت بين الدنيا والآخرة جسر لكل أحد معبر عليه، والموت وإن كان للحياة الفانية آخرًا فهو للحياة الباقية أولاً وصدرًا[٢] .

● وقال ابن عيينة:

أوحش ما يكون ابن آدم في ثلاثة مواطن: في يوم ولد فيخرج إلى دارهم، وليلة يبيت مع الموتى فيجاور جيرانًا لم ير مثلهم، ويوم يبعث فيشهد مشهدًا لم ير مثله قط، قال اللَّه تعالى ليحيى بن زكريا في هذه المواطن: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ١٥][٣] .

● قال يحيى بن معاذ :

«لا تكن ممن يفضحه يوم موته ميراثه، ويوم حشره ميزانه»[٤] .

● وقال مسعر بن كدام:

ومشيدًا دارًا ليسكن داره سكن القبور وداره لم يسكن[٥]

● وكان عمر بن عبد العزيز كثيرًا ما يتمثل ويقول:

نهارك يا مغرور سهو وغفلة وليلك نوم والردى لك لازم
وتعمل فيما سوف تكره غبه كذلك في الدنيا تعيش البهائم

(١، ٢، ٣) «الزهد الكبير» ص(٢٥٤).

(٤، ٥) «الزهد الكبير» ص(٢٥٥).

● كان الحسن إذا أمسى يقول:

وما الدنيا بباقية لحي ... وما حيّ على الدنيا بباق

● قال عبد اللَّه بن المعتز[1] :

الدهر يبلى وآمال الفتى جدد ... تزيد آماله والدهر يفنيها

ليل وصبح وآجال مقدورة ... تمضي ونمضي وتطوينا ونطويها

● وقال الشاعر محمود بن الحسن[2] :

مضى أمسك الماضي شهيداً معدلا ... وأعقبه يوم لليك جديد

فإن كنت بالأمس اقترفت إساءة ... فثن بإحسان وأنت حميد

فيومك إن أعتبته عاد نفعه ... عليك وماضي الأمس ليس يعود

ولا ترج فعل الخير يومًا إلى غداً ... لعل غداً يأتي وأنت فقيد

● عن طلحة بن عبيد اللَّه ﷺ أن رجلين من بلى - وهو حي من قضاعة - قتل أحدهما في سبيل اللَّه وأخر الآخر بعده سنة، ثم مات، قال طلحة: فرأيت في المنام الجنة فتحت فرأيت الآخر من الرجلين دخل الجنة قبل الأول فتعجبت، فلما أصبحت ذكرت ذلك فبلغت رسول اللَّه ﷺ ، فقال لي رسول اللَّه ﷺ : **«أليس قد صام بعده رمضان، وصلى بعده ستة آلاف ركعة وكذا وكذا ركعة لصلاة السنة»**[3] .

● عن وهب بن منبه قال: قرأت في التوراة أن للَّه مناديًا ينادي كل ليلة: أبناء الأربعين، زرع قد دنا حصاده، أبناء الخمسين هلموا إلى الحساب، ماذا

(١، ٢) «الزهد الكبير» ص(٢٥٩).

(٣) «الزهد الكبير» ص(٢٦٣)، والحديث أخرجه ابن ماجه، وابن المبارك في «الزهد»، وصححه الألباني.

قدمتم وماذا أخرتم؟ أبناء الستين لا عذرتم أبناء السبعين عدوا أنفسكم في الموتى[١].

إذا ما مضى القرن الذي أنت فيهم وخلفت في قرن وأنت غريب
وإن امرءاً قد سار خمسين حجة إلى منهل من ورده لقريب

● وأنشد محمد بن حرب الهلالي[٢]:

إذا مات من فوقي ومن دون مولدي ومُوِّت أترابي فكيف بقائي

● قال أبو يوسف تلميذ أبي حنيفة:

ما هدّني شيء مثل ما هدني موت الأقران[٣].

● كان معاوية يقول:

إنا واللَّه زرع قد استحصد، قال: ونعي له عبد اللَّه بن عامر بن كريز والوليد بن عقبة وكان أحدهما أكبر منه والآخر دونه، فقال: إذا سار من خلف امرء وأمامه وأفرد من أصحابه فهو ساير[٤].

● قالوا للفضيل بن عياض: يا أبا علي كم سنك؟ فقال:

بلغت الثمانين أو جزتها فماذا أؤمل أو أنتظر
أتت لي ثمانون من مولدي ودون الثمانين ما يعتبر
علتني السنون فأبلينني فرقت عظامي وكلّ البصر

***

ألا ذهب الكماة وخلفوني كفى حزنًا تذكري الكماة

(١) «صفة الصفوة» (٢/١٥٦)، و«الزهد الكبير» ص(٢٦٥).
(٢) «الزهد الكبير» (٢٧٢).
(٣) المصدر السابق.
(٤) «الزهد الكبير» ص(٢٧٣).

فدع عنك الكماة فقد تولوا ونفسك فابكها قبل الممات
وكل جماعة لا بد يومًا يفرق بينهم شعب الشتات

● وقال محمد الوراق[١] :

يبكي على ميت ويغفل نفسه كأن بكفيه أمانًا من الردى
وما الميت المقبور في صدر يومه أحق بأن يبكيه من ميت غدا

* * *

هذي منازل أقوام عهدتهموا في رغد عيش رغيب ما له خطر
صاحت بهم نائبات الدهر فانقلبوا إلى القبور فلا عين ولا أثر[٢]

● وقال آخر:

أفنى جديدهم وشتت جمعهم ملك تفرد بالبقاء عزيز

● قال مسلمة: واللَّه ما وعظني شعر قط ما وعظني ابن حطان حين يقول:

أفي كل عام مرضة ثم نعمة وتنعي ولا تنعى فكم ذا إلى متى؟
فيوشك يوم أو يوافك ليلة يسوقان حتفًا راح نحوك أو غدا

● سئل بعض الحكماء: من أنعم الناس عيشًا؟ قال:
بدنه في التراب قد أمن العقاب ينتظر الثواب[٣] .

● وانشدوا لقس بن ساعدة:

يا ناعي الموت والأموات في جدث عليهم من بقايا ثوبهم مزق
دعهم فإن لهم يومًا يصاح بهم كي ينتبه من نوماته الصعق
منهم عراة وموتى في ثيابهم منها الجديد ومنها الأورق الخلق

---

(١) «الزهد الكبير» ص(٢٧٨).
(٢) «الزهد الكبير» ص(٢٧٩).
(٣) «الزهد الكبير» ص(٢٨٧).

• وقال أيضًا:

في الذاهبين الأولين — من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردًا — للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها — تمضي الأكابر والأصاغر
لا يرجع الماضي إليّ — ولا من الباقين غابر
أيقنت أني لا محالة — حيث صار القوم صائر[1]

* * *

(١) «الزهد الكبير» ص(٢٨٥ ـ ٢٨٦).